طوني .. للجبناء!

« .. أدلى الجنرال (مايك وست) – قائد فرقة الكومنولث البريطاني في كوريا بحديث في التلفزيون – قال فيه: إنه كانت هناك عدة حالات تشتمل على الجبن في كوريا وأنه أجريت بشأنها محاكمات عسكرية. واستطرد قائلاً: انه ليس في الأمر ما يدعو إلى الدهشة فقد حوكم جنود كثيرون في الحربين العالميتين بتهمة الجبن !!.. وكان الحكم احياناً هو الاعدام رمياً بالرصاص .. »

. . . . . .
ولما كبرت أتوا ينتقون خراف الفداء
وساقوا القطيع إلى ساحة غطيت بالجليف
ذراع هناك .. وفخذ هنا ..
وشلو .. وساق .. ورسغ .. ودم
ألوف الجماجم
وقالوا :
« هنا قبلة الصالحين .. هنا المعبد
هنا تستجاب صلاة العبيد ..
وتؤتى الزكاه .. »
وفي ليلة جن عزريلها
وضج الفضاء بقصف الرعود
ودمدمت الريح تذرو الجنود
وثار الدخان
مضوا يقصبون وهم ينشدون
نشيد الدمار لرب الدمار ...
سمعت الرفيق بأذن الرفيق يثير السؤال:
« لماذا نموت ..؟
ومن اجل من ؟؟
ومن للعيال ؟؟؟ »
وجاء الرصاص .. فمات على شفتيه السؤال
وهاجت بخاطري الذكريات
وألقت إليّ مئات الصور
بلون الحداد
بلون الجلود التي سودتها سياط الهمج
ولفح الوهج
بلون السوائم في قريتي
يدقون ارض الشقاء العنيد
يبثون للارض حقد العبيد
بفأس حديد
وقد يعثرون .. وهم يحفرون
بجمجمة بي الثرى ساجده
وفي محجريها بقايا دموع
وهول .. وجوع
وفي عظمها بصمات النعال

عن النفس بل هو النفس متجسدة كما يقول بعد ذلك جان بول سارتر في كتابه (الوجود والعدم) .

ويلاحظ جان فال (في كتابه ، نحو المشخص ، ص ٢٣٩) ان كلا من نظريتي الاحساس والجسد وجهان لظاهرة واحدة (فاذا لم يكن جسدي آلة ، فان الاحساس لا يمكنه ان يكون رسالة) وما هاتان النظريتان إلا مظهران لنظرية واحدة هي نظرية الوجود .

في الموجود إذن تتحقق وحدة النفس والجسد. وتجربة التجسد تقودالى وحدتين – كما يقول مارسيل – وحدة النفس والجسد، من جهة، ووحدة النفس وبقية العالم من جهة اخرى. وليس لنا ان نفهم من تحقق الموجود في الجسد أي نزعة مادية أو روحية ، فهنا المجال وجودي بحت : « انني حينما أقول انني جسدي فهو القول انني اكون هذا الاسلوب (الجسد) من الوجود ويمكن القول ايضاً ان جسدي هو اسلوبي في الوجود في العالم ، او في انتسابي اليه . » وبهذا نكون ، ولا بد ، قد تجاوزنا كل مشكلة فاسدة ، تريد ان تفصل بين الجسد والنفس ، لكي تحاول ثانية ان تجد بينهما روابطها المصطنعة ، كما فعل ديكارت مثلاً . فالتجربة التي يحق لنا ان نصفها بأنها تجربة اولية لن تكون أبداً تجربة الكوجيتو المفكر عند ديكارت . إذ ان الفكر لا يتقوم باعتبارة مدركاً إلا حينما يعتقد ان المحتوى ، من حيث انه مسلمة ، سابق على فعل الادراك نفسه . ففي لحظة تقوم النفس يكون تقوم الجسد .

***

ان كل هذه الابعاد الواقعية للحياة : الانسان ، العمل ، الارض ، الجسد ، تبقى غير ذات موضوع ان لم نلحظ أبعاداً مشخصة اخرى هي التحديد في الزمان والمكان والبيئة البشرية. وهذا ما يضمه مفهوم الوضع (Situation) عند سارتر . والاوضاع كثيرة كثرة الافراد، وبالتالي فان انعكاس الوضع مختلف المصادر من سياسة وقومية وثقافة وطبقية. فليس أحسن اذن من اسلوب الادب الروائي لكي يعبر عن هذه الاوضاع. وكل وضع يتكشف عند نقطة هي الفرد وينطلق الى ابعد افق اجتماعي وانساني وميتافيزيكي اخيراً. ولهذا كان عصرنا اليوم عصر الرواية . وكلما عظمت وتلونت تفاصيل الحياة كلما وجدت الرواية طريقها في التعبير . والادب الحق هو الادب الذي يلتزم الحياة بجميع مقولاتها التي ألمحنا اليها في هذه الدراسة الموجزة . واذا كان لنا نحن الادباء العرب من مذهب اعم من كل مذهب ، فهو مذهب الحياة بكل خصبه وعنفه . واذا كانت حياتنا فقيرة فأدبنا سيغني حياتنا ذاتها شرط ان ينبثق عن حاجة الانسان للاخلاص الى وجوده الأرضي ضمن اوضاعه الخاصة . فليس اعظم من الادب عندما يساعد الحياة على الانتشار ، والبطولة في الحياة .

دمشق

مطاع صفدي

وفي صمتها صرخات المسيح :
« لماذا اموت ؟ »

*

وإني لاذكر ذاك النهار
وكنت اعد خطى الظل فوق اديم الجدار
وفي لهفة أستحث الغروب .. وطال النهار
وراح يجر خطى مثقله
كخطو الرقيق تشدهم للثرى سلسله
وما كنت قبل اضيق اذا ما تباطا النهار
وكنت أحب لو اني إله يقرر للشمس
[الاتغيب
فاني لا خشى الظلام المهول يكفن بالرعب
[احلاميه
ويطلق اشباحه العاتيه
وذاك الذي سلخت رجله
سليمان أطلق اعوانه
وفك الطلاسم في كوخنا
فأمضي ألملم أطرافيه
أخاف .. أخاف ..
وإني لأكتم أنفاسيه
بذاك اللحاف ..
وكم ليلة بت لا أغمض
فما كنت قبل أضيق إذا ما تباطا النهار —
ولكنني ضقت ذاك النهار بطول النهار
فقد طبخت امنا بعض لحم على غير
[ما عودتنا الحياة
وعند الغسق
سيأتي ابي حاملا فأسه
على وجهه بسمة المنتصر
وغار العرق ..
ففي قريتي
يعيشون والموت في معركه
وحين تخضب وجه السماء دماء الشفق
يعود الجنود .. ويأتي ابي .. ويمد العشاء
ونجلس للحم في دائره
أيأتي المساء ؟؟

*

وأسمع دقاً على بابنا ويجيء القدر
« ابي والرفاق
يساقون قهراً إلى المجزره
من الدار .. للنار .. للمقبره .. »
وأمي تشق الكساء الجديد
وتلطم بالراحتين الخدود
وطيناً على وجهها تلصق
وتصرخ .. تصرخ .. « واجلاه » !!
واصرخ .. اصرخ .. « واأبتاه » !!
ترى هل يعود ؟
وكيف يعود ؟
وعيد مضى .. ثم عيد .. وعيد
وعيد .. ولكنه لم يعد ..!!!
وجاء النبأ :
« ابي لن يعود .. ككل الرفاق »
وتأتي النساء الى دارنا
عجوز كبومه
تغني لهن بصوت غراب
وهن يصحن وراء النعيق بما لا يقال
تقول عن الموت كيف يجيء بهول الخراب
عن « السبع » كيف يلوك التراب
وكيف تلوك السباع الذئاب
عن الذعر كيف يدق الحراب باحداقنا
عن الرعب كيف يحط الرحال على رأسنا
على كوخنا
ويمضي الحذاء . . . . . .
. . . . . .
رأيت أبي من خلال الغبار
يسير الي بخطو وئيد .. بجلباب دم ..
وامي تشق الكساء الجديد
تريد اعيش
وزوجي تصرخ « واجلاه » !!
تريد اعيش
وابني يصرخ « واأبتاه » !!
يريد اعيش
« لماذا اموت ؟
ومن اجل من ؟؟
ومن للعيال ؟؟؟ »
اريد اعيش
وكل القطيع يريد يعيش
رميت السلاح .. واخفيت رأسي في راحتي
وقلت : كفرت بما تعبدون
فقالوا : « جبان » .. جبان .. انا ؟؟!!

*

ولموا جموعهم والشهود وحشد الجنود
وساقوا الذبائح للمحرقه
اقاموا الصلاة :
بخور ونار
ورقص السعار
وريح القديد .. ودفق الوريد
وانشودة الالهة الدمار
وطاف ببار كهم ربهم
وقال : « عبادي .. ما ترفعون .. »
فقالوا : « جباناً ، احب الحياة والقى السلاح
وقال كفرت بما تعبدون »
فقيل : « مع الفجر يمضي الجناز يزف الجبان
بعار وذل
الى حيث كان يعاف الذهاب
بغار البطل
فسرت .. اجر جر اذياليه
اسند بعضي الى بعضيه
وغطيت وجهي بأسماليه
وهم يبصقون
وهم يصرخون
« جبان ... جبان .. »
جبان انا ؟!

القاهرة — نجيب سرور